والشغب، ولا حتى الارهاب.

وخلاصة الخلاصة في الموقف من سوريا هي اننا، ببساطة، لم نعد بحاجة الى بلد همه ان يحتوينا ويسيطر علينا ويحكمنا بـ «البسطار». ان «فكر» البعث لا يلائمنا وممارساته لا تنفعنا. ان نظامـا كهـذا ينبغي، ونستـطيـع، ان نبتعـد ونتخـلى عنه، فلن يقدم شيئا مفيدا للقضية الفلسـطينية، سلما او حربا. واذا كان قد نجم «خير» ما عن الاجتياح الاسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢، ومن ثم اخراج المقاومة منه، على المآسي التي رافقت ذلك، فانه كامن في امكانية تحررنا من الممارسات والضغوط السورية المختلفة. اننا لا نجزم ان التعاون مع غير سوريا سيعود حتما بفائدة ما، بل على العكس من ذلك قد يكون الجميع، وان اختلفت اساليبهم، من الطينة نفسها. ولكننا نستطيع ان نجزم بأنه آن الاوان للحركة الوطنية الفلسطينية ان تخرج من مرحلة المراهقة وتتوقف عن ممارسة الهيام العلني والسري مع سوريا، وان تكبر وتنضج. لقد وصلنا الى مدى من التنظيم والتجذّر نستطيع معه بسهولة الاستغناء عن خدمات سوريا، واتقاء شرورها، والاستمرار في متابعة نضالنا من خارج ذلك البلد، وربما بصورة اكثر عقلانية وفاعلية (وسنعود لذلك لاحقا)، الى ان تطرأ التغييرات المرجوة وتعود سوريا الى ممارسة دورها القومي الطبيعي، غير البعثي.

ويبقى هنالك من دول الطوق لبنان. لبنان المصاب بالطائفية المقيتة التي تنخر عظامه وتشله تدريجيا وتكاد تقضي عليه. لقد تواجد النشاط الفلسطيني في لبنان، وبشكل كثيف للغاية، ما يقارب من ١٠ سنوات، اي عمليا خلال السبعينات باسرها. وانطلاقا من مقر مركزه الرئيسي في هذا البلد، تمكن العمل الفلسطيني خلال تلك الفترة، من احراز مكاسب عديدة ودائمة للقضية الفلسطينية، ربمـا لم يكن بالامكـان تحقيقهـا لو كان الفلسـطينيون يعملون انطلاقا من اية دولة اخرى، ويخضعون بالتالي للقيود السائدة هنا او هناك. غير انه كان لهذه الصورة المضيئة الى حد ما، وجهها الآخر المظلم، بل الحالك في بعض نواحيه. فحالة «الاستقرار» و «الاستقلالية» و «السيادة» التي ميزت الوجود الفلسطيني في لبنان ادت الى نوع من «الطمأنينة» فالتراخي، انعكس سلبا على المقدرة في التعاطي مع المواقف الصعبة، التي تتطلب قرارات شبه مصيرية، ومكن من التهرب منهـا. وبـالتالي تركت الامور على غاربها، على ما تبع ذلك من تجميد للاوضاع وتفويت فرص الحلول، الواحـدة بعـد الاخـرى، على قلتهـا. يضاف الى ذلك، وهذا هو الاخطر، ان المقاومة الفلسطينية، في تلك الاوضاع، انغمست حتى رقبتها في رمال لبنان المتحركة ومشاكله الداخلية التي لا تحصى، ومعـظمها ذات ابعاد طائفية نتنة، تضر بالجسم والعقل معا. وتم ذلك بصورة حشرت معها، في احيان كثيرة، المشاكل الفلسطينية الحقيقية، التي تستدعي الاهتمام، في زوايا النسيان والاهمال. ويقينا انه لو استمر الحال على ما هو عليه، لبقي «الثوار» يعيثون في ذلك البلد «ثورة»، وان شئتم: انفلاشاً وتجاوزات وعدم انضباط، جرت على البلد، المفكك طائفيا في اساسه، ويلات ومصاعب ومآسي لم تكن من نصيب غيره. ونتيجة لذلك وصل الضيق بالفلسطينيين والتذمر منهم الى درجة انهم عندما تعرضوا للحصار الاسرائيلي هناك لم يجدوا الا قلة ضئيلة تدافع عنهم، فيما بدا ان الاكثرية تتوق الى الخلاص منهم.

لقد كان من الضروري، فلسطينيا، يوما ما وفي نهاية الامر، النزوح عن المنفى اللبناني، الذي لم تكن له علاقة بفلسطين ومشاكلها الحقيقية الا في حالات معدودة، ان تم ذلك بهذه الطريقة او تلك. وفي الظروف التي كانت سائدة في ذلك البلد وبالذهنية، الفلسطينية طبعا، التي تبلورت في اعقابها، يشك فيما اذا كان سيتم خروج من هناك بغير الطرق التي تم بها. ويبدو من الناحية